

فإنه يجب الإقرار أخيراً بفضل أولئك البحاثة المتواضعين، والمهتمين، الذين يحرصون، وهم مقتنعون بذلك، على القول إن أي عمل أدبي يكشف عن حضور إنسان، وعلى الاهتمام بإبراز بعض مظاهر الحياة التي تُساعد في إضاءة نشأة عمل ما، والتي تعمل على كشف أحوال النص المتتالية، ذلك هو "ما قبل النص" حيث يصوغ الكاتب بعمله إنتاجاً رائعاً .

" الأدبي والاجتماعي " :

إن اكتشاف فاعل يكتسب دلالة بوساطة العمل ويعطي في الوقت نفسه ذلك العمل معناه، يطرح من المشاكل أكثر مما يحمل من الحلول المقنعة. في الواقع، لكي تتمكن قليلاً من كسر الحاجز الهش حول النص، ولكي نحاول أن نفهم لماذا يوجد النص هنا، وليس : كيف صُنِعَ : فإن كثرة من الأسباب الممكنة تثير سلسلة من أسئلة لا تنتهي، فلا نكاد نتمكن من التوقف عند مجرد الحضور الدال وحده لفرد مؤلف : فهذا الأخير لن يكون بوسعنا أن يتجرد عشوائياً من الشروط الاجتماعية التي صنعت منه ما يقوم باعتباره إنساناً وكاتباً. ولكن تقليداً مستحكماً للنقد الأدبي في فرنسا، تقليداً مغروراً بمفهوم العبقرية والإبداع الفردي.. الخ جعلنا نستقبل بنحدر كل محاولة تفسير اجتماعي. إن السمعة السيئة التي ننسبها بغير حق إلى الآلية التينينية Tainienne⁽¹⁴⁾ الثقيلة تؤدي دوراً منفراً، ومقبولاً. وهي الفكرة الشائعة عامة بأن النقد الاجتماعي إنما يعاني من ذلك النقص الذي لا يعوض. وهو أنه يجهل خصوصية الأعمال الأدبية ويتعامل معها باعتبارها مجرد وثائق. ومع ذلك، ولكي نتفحص المشكلات التي يثيرها ظهور الأعمال الفنية في المجتمعات

(14) المقصود بالآلية التينينية = La mecanique tainienne نسبة إلى الفيلسوف Hippolyte Adolphe Taine فيلسوف ومؤرخ فرنسي (1828-1893) كتب في مجالات متنوعة عن الرحلات والنقد الأدبي والفلسفة والتاريخ والجمالية : وجماليته التي تستلهم الفلسفة الوضعية ومناهج البيولوجيا هي جمالية حتمية : فالعمل الفني ينحدر في رأيه من ثلاثة عوامل : - الجنس (عامل فردي) - البيئة (عامل حفرافي) - العصر (عامل تاريخي) .